المسألة الشرقية وأثرها في السياسة الروسية

م. د. سعد لطيف حمد

الجامعة المستنصرية / مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

المسألة الشرقية (Eastern Question) (1812-1830) مصطلح يطلق على المشاكل التي حدثت في جنوب شرقي أوروبا نتيجة لتدهور سلطة الدولة العثمانية والتنافس الذي حدث بعدها بين القوى المتنافسة[1]. بل هي مسالة النزاع القائم بين بعض دول أوروبا وبين الدولة العثمانية بشأن البلاد الواقعة تحت سلطانها، وبعبارة أخرى هي مسألة وجود الدولة العثمانية نفسها في أوروبا[2]. وهذا النزاع الذي استمر على أنه نزاع بين المسيحية والإسلام، أي مسالة حروب صليبية متقطعة بين الدول القائمة بأمر الإسلام وبين الدول المسيحية، وهذا هو تفسير ليس بصحيح تماماً، لأن الدول التي تنازع الدولة العثمانية وجودها لا تعاديها باسم الدين فقط، بل في الغالب تعاديها طمعاً في الحصول على شيء من أملاكها، وقد أرانا التاريخ أحوالاً كثيرةً لم يستعمل الدين فيها إلا سلاحاً، وستاراً لأغراض شتى وأطماع مختلفة[3]. وقد برزت المسألة الشرقية مع بداية انحسار المد التوسعي العثماني عن أوروبا وفقدانهم نفوذهم العسكري بالنسبة لدول أوروبا وخاصة بالنسبة لجيرانهم الروس والنمساويين[4]. أي منذ ُ أن وطأت أقدام الترك ثرى أوروبا، وأسسوا دولتهم، قام بينهم وبين بعض الدول الأوروبية نزاع شديد، ودارت حروب عديدة[5]. ويمكن أن نلخص المسألة بكونها عبارة عن المناورات التي أخذت الدول الأوروبية المختلفة تغلبها لتمنع روسيا من التجاوز أكثر مما يجب على وحدة الدولة العثمانية وتماسك أجزائها[6]. إلا أن روسيا حاولت التغلغل في المياه الدافئة وذلك عن طريق المضايق التركية، كما أن روسيا القيصرية كانت تمثل الجانب الروحي للمذهب الأرثوذكسي في العالم المسيحي، الأمر الذي انعكس على الدولة العثمانية التي كانت تمثل العالم الإسلامي[7].

أرهبت الدولة العثمانية بقوتها الدول الأوروبية، فأثارت فتوحاتها وانتصاراتها في نفوس الأمم المقهورة بغضاء كامنة وعداوة لدودة، فكان ذلك السبب الأول في الحروب

العديدة التي وجهت ضدها، وكانت البلاد الواقعة تحت سلطة الدولة العثمانية من أجمل بلاد العالم وأغناها، وقد تاقت نفوس أصحاب الدول الأوروبية لإخراج العثمانيين من هذه البلاد وتقسيمها بينهم[8].

يعتبر البحر الأحمر من الأهداف الإستراتيجية السوفيتية في منطقة المحيط الهندي باعتباره الطريق البحري الأقصر للوصول إلى المياه الدافئة والخليج العربي وإلى سواحل أفريقيا الشرقية ، انه طريق دولي مفتوح لجميع دول العالم، وأن من يسيطر على هذه المنطقة يصبح بمقدوره التحكم بطرق الملاحة الدولية التي تربط العالم الغربي بالشرق[9]. ومما لاشك فيه أن مبدأ التوسع في المياه الدافئة يعتبر من المبادئ الأساسية التي قامت عليها سياسة روسيا القيصرية معتقدين بأن مسالة السيطرة على المضايق والتحكم في دور السفن الحربية الراغبة في الدخول إلى البحر الأسود تمثل شيئاً أساسياً في حماية الحدود الروسية في القفقاس وسواحل البحر الأسود[10]. وعندما استولت الدولة العثمانية على البلقان واتجهت نحو الدانوب فتكاتفت الدول الأوروبية ضدها في تكتلات بقيادة البابوية، وقد أدركت الدول الأوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أن زمن الحروب الصليبية قد ولى ولهذا اتخذت المسألة الشرقية طابعاً سياسياً لأنها تمس النزاع حول مصالح الدول الأوروبية "**روسيا، فرنسا ، بريطانيا ، النمسا**"[11].

كان نابليون مدركاً أن استيلاء الروس على المضايق التركية سيؤدي إلى الإخلال بتوازن القوى في أوروبا إخلالاً خطيراً، وقد آل توسطه إلى توقف الأعمال العدوانية بين الروس والدولة العثمانية توقفاً وقتياً، إذ أنها استؤنفت في سنة 1809، وأخيراً انتهت الحرب في آذار 1812 بمعاهدات بخارست التي تعتبر خطوة أخرى خطتها روسيا في طريق توسعها الإقليمي على حساب الدولة العثمانية[12]. واستولت روسيا بموجبها على بساربيا بحيث امتدت حدودها حتى نهر بيروث والضفة اليسرى من نهر الدانوب وساحل البحر الأسود[13]. وكان القيصر الروسي يعتقد أن تزايد نفوذ فرنسا في الدولة العثمانية وفي أوروبا عّد بمثابة دعم وتأييد النزعات الثورية والتحررية في كل من ألمانيا وإيطاليا[14]. ومنذ نهاية القرن السابع عشر كان العامل الرئيسي في المسألة الشرقية محاولة روسيا مضاعفة نفوذها على حساب الدولة العثمانية، أما عن طريق

التوسع الإقليمي أو بالسيطرة على المضايق–البسفور والدردنيل، أو يخلق حقاً لها للتدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية[15].

إن مصطلح المسألة الشرقية، أستخدم لأول مرة في مؤتمر فيرونا الذي عقده المحفل الأوروبي سنة 1822، وذلك عندما جرت في المؤتمر المذكور مناقشة الوضع الذي نشأ في البلقان نتيجة للانتفاضة التي قام بها اليونانيون ضد السيطرة العثمانية عام 1821، ومنذ ذلك الوقت عمّ استخدام المصطلح في البحوث والعلاقات الدبلوماسية[16].

حرب القرم ونتائجها (1853–1856)

إن أول امتياز نالته روسيا كان في عام 1774 بموجبه تم السماح لها بحرية مرور سفنها التجارية في داخل المضايق التركية وذلك بموجب معاهدة كوجك قينارجي[17]. التي أنهت الحرب في عام 1774، وهي حجر الزاوية في العلاقات الروسية العثمانية، لذلك يجب أن تعتبر حدثاً من الإحداث السياسية الرئيسية في تاريخ الدولة العثمانية وأوربا، ومنحت روسيا منافع وتوسعات إقليمية عظيمة، فقد وضعت حداً للسيطرة العثمانية المطلقة على البحر الأسود، وخلقت شيئاً من التبرير للادعاءات التي اخذ يدعيها الروس، بعد ذلك في أن لهم الحق في التكلم باسم المسيحيين الارثوذكس الموجودين في جميع أرجاء الدولة العثمانية. وبإعلان استقلال خانية التتر في القرم، مهد الطريق لضمها إلى روسيا في 1783. وتم تأكيد موافقة العثمانيين بضم القرم إلى روسيا بموجب معاهدة ياسي في سنة 1792[18].

ظهرت روسيا للوجود نتيجة هذه التطورات وهي دولة مهمة من دول البحر الأسود فأنشأت قواعد بحرية مهمة وتحصينات في سباستبول[19]. واوديسا وحصل أسطولها على السيادة في مياهه الأمر الذي أدى إلى شعور البريطانيين بالخطر[20]. وكانت بريطانيا ترفض العروض بشأن تقسيم الدولة العثمانية، رأى القيصر الروسي أن يتصل بالعثمانيين مباشرة، وقد عرض المندوب الروسي منتشيكوف سنة 1853 على السلطان العثماني مشروع معاهدة في ثلاث نقاط "**سحب الامتيازات للرهبان الكاثوليك في فلسطين وإعطائها لرهبان أرثوذكس، والاعتراف لروسيا بحمايتهم في الدولة العثمانية وعقد تحالف دفاعي مع روسيا**"[21].

رفضت المطالب الروسية، وأمر القيصر جيوشه بان تجتاح الولايتين الدانوبيتين الأفلاق والبغدان (رومانيا الحالية)، أحتج السلطان العثماني وأنذر القيصر بضرورة الجلاء عنها ، فأجاب الروس بإعلانهم الحرب على الدولة العثمانية في 23 تشرين الأول 1853[22]. فردت الدولة العثمانية على ذلك في تشرين الأول 1853 0

قام الروس بإغراق الأسطول العثماني على مقربة من سينوب ، وقد وصف القيصر الدولة العثمانية برجل أوروبا المريض، وقررت بريطانيا وفرنسا إعلان الحرب ضد روسيا في 27 آذار سنة 1854. وكانت أهداف بريطانيا وفرنسا من دخول الحرب هي حرمان روسيا من نفوذها في البلقان ، وإبقاء سفنها قريبة في البحر الأسود، وكان فيها نفع للنمسا وتحرير مقاطعتي الافلاق والبغدان ونهر الدانوب، أما فرنسا فلم تكن ستجني إلا فوائد ضئيلة القيمة وهو تثبيت عرش نابليون الجديد المزحزح الأركان[23].

هاجم الأسطول البريطاني–الفرنسي الموانئ الروسية في منطقة بحر البلطيق، والبحر المتوسط، والمحيط الهادي، وقد استطاع الجنود والبحارة الروس صد هذه الهجمات بسهولة، غير أنه حين وجه الحلفاء ضربتهم الرئيسية إلى القرم غدا وضع القوات الروسية حرجاً ، فلم تستطع روسيا التي لم تكن تملك سكة حديد إلى الجنوب من موسكو إرسال قوات إضافية إلى القرم ولتأمين إمداد جيوش القرم بالأسلحة والمواد الغذائية[24].

تم إنزال جيوش بريطانية وفرنسية بالقرب من مدينة فارنا Varna في بلغاريا الحالية وذلك لمساعدة مدينة سيليستريا (Silistria) الواقعة على الدانوب والمحاصرة من قبل الروس، الذين انتشرت الكوليرا بين صفوفهم ، أمر القيصر سحب جيوشه من مقاطعتي الافلاق والبغدان في آب 1854 ، وبعدها تحول القتال إلى شبه جزيرة القرم في البحر الأسود شمال مدينة سباستبول التي سقطت في أيلول 1855 بعد معارك عنيفة استمرت سنة كاملة، إلا أن الروس عوضوا عن خسارتهم هذه باحتلالهم مدينة قارص في أرمينيا وانتصارهم على الجيوش العثمانية في كانون الأول سنة 1855[25]. وبالرغم من التسليح الروسي الضعيف، فقد كانت المعركة ضارية للغاية ودموية وقد أظهرت للبريطانيين والفرنسيين أنه من المستحيل توقع انتصار سهل، وقد أشار أنجلس إلى أن روسيا كانت تواجه نضالاً لا أمل فيه تقوم به أمة بوسائل إنتاج بدائية ضد أمم ذات إنتاج عصري[26].

قامت حرب القرم نتيجة نزاع بين رهبان الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية في أيهما أحق بحراسة الأماكن المقدسة المسيحية ببيت المقدس، وكان النزاع في ذاته بسيطاً، ولكنه استمد أهميته من الحقيقة بأن قيصر روسيا كان يعاضد المطالب الأرثوذكسية، في حين أن نابليون الثالث إمبراطور فرنسا، كان يؤيد ادعاءات الكنيسة الكاثوليكية[27]. إلا أن قضية معنوية كهذه لا يمكن أن تشكل سبباً أساسياً يقود بالدول الكبرى إلى أتون حرب أوروبية عامة، ولهذا فانه لابد من البحث عن الأسباب العميقة والحقيقة في تطور العلاقات العثمانية الروسية[28].

وبعد قمع الثورة المجرية في عام 1849، وعندما أنقذت القيصرية الروسية الملكية النمساوية من التفكك، توصل نيقولا الأول إلى نتيجة وهي أنه قد حان الوقت لحل المسألة الشرقية، مسألة تقسيم الدولة العثمانية، فسعت القيصرية إلى تحطيم الدولة العثمانية وتوطيد نفوذ روسيا نهائياً في شبه جزيرة البلقان وفي المضايق مما كان سيؤدي إلى تقوية القدرة العسكرية لروسيا القيصرية إلى حد بعيد، وكانت الدولة العثمانية دولة إقطاعية متخلفة ومن السهولة دحرها[29]، إلا أن سياسة بريطانيا التقليدية القاضية بالمحافظة على سلامة الدولة العثمانية كانت تحول دون وصول الروس إلى البحر المتوسط حيث للبريطانيين مصالح كثيرة، ثم أن بريطانيا لم تكن تفكر في أن تحدث في أوروبا تغييرات عميقة إلى هذا الحد مما يؤدي إلى تعكير السلم الأوروبي واختلال توازن القوى في القارة، طالما أن مصالحها الاقتصادية تسير بالشكل المطلوب[30].

كان عجز الحكومة العثمانية عن اتخاذ مواقف مستقلة في السياسة الخارجية يزداد بمقدار ما كان ضعفها يتعمق الأمر الذي أوقعها في تبعية سياسية واقتصادية للدول الأوروبية الكبرى، ولاسيما بريطانيا وفرنسا اللتين كانت الحكومة العثمانية ترى فيها حليفتين لها ضد روسيا التي أصبحت منذ عهد بطرس الكبير العدو الأول لها[31].

بعث اندحار روسيا في العثمانيين حياة جديدة، كما عانى التوسع الروسي في البحر الأسود وفي اتجاه البحر المتوسط توقفاً خطيراً ، وقد ختمت هذه الحرب فصلاً مهما من فصول التاريخ العثماني، فصلاً من الأرجحية الروسية القلقة في القسطنطينية والنفوذ الروسي المتنامي الذي بدأ بمعاهدة (إنكار سلكة سي) ولم يتوقف في استفحاله إلا جزئياً في مؤتمر لندن 1840-1841[32]، ونتيجة تنافس الدول الأوروبية وصراعها

من أجل احتكار النفوذ في الشرق الأدنى تأزمت المسألة الشرقية من جديد وقضى ذلك إلى نشوب حرب القرم التي دارت في سنوات 1853-1856 ، حرباً روسية-عثمانية، ثم تحولت إلى حرب ضد روسيا من جانب بريطانيا وفرنسا والدولة العثمانية وسردينيا مع وقوف النمسا وبروسيا موقفاً حيادا ً عدائيا ً حيال روسيا[33]، وأثناء الحرب اشتدت حركة الفلاحين ضد القنانة خاصة في أراضي كييف، عندما طلب من الفلاحين أن ينتسبوا إلى صفوف المتطوعين الذين رفضوا الخضوع إلى الأسياد الإقطاعيين وتنفيذ عمل السخرة وأعرب الفلاحون عن استعدادهم لمقاومة الأعداء دفاعاً عن الوطن واعتبارهم أحرارا ً وعتقهم من حالة القنانة[34].

ومما شجع روسيا على المضي في سياسة التوسع، هو ضعف الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فشنت عدة حروب ضدها وكادت تحسم المسألة الشرقية في صالحها لولا تدخل الدول الأوروبية[35].

كانت حرب القرم قد كلفت المتحاربين ثمناً عالياً في الأرواح البشرية لضعف الخدمات الصحية وعدم كفاءتها في الدرجة الأولى، فأدى موت القيصر نيقولا الأول وما أعقبه من سقوط سباستبول، إلى أن تطلب روسيا الصلح سنة 1855 في أيام الإسكندر الثاني، وكانت معاهدة باريس في 30 آذار 1856[36]، وقد نال الحلفاء جميع الأهداف، فان مقاطعتي الافلاق والبغدان أعيدتا إلى مركزهما السابق، وجعلت الملاحة حرة في نهر الدانوب، وحرم على روسيا إبقاء سفن حربية في البحر الأسود، وتعهد السلطان تنفيذ الإصلاحات لرعاياه المسيحيين، بدون أي تدخل خارجي، وضمنت الدول العظمى لصربيا، مكافأة لها على حيادها خلال الحرب، كما أكرهت روسيا على ترك قبرص، التي كانت قد استولت عليها عنوة، وأن تتنازل أيضا عن شطر من إقليم بساربيا ويضم إلى مقاطعة البغدان[37].

انتهت الحرب سنة 1856 بمعاهدة صلح باريس التي تضمنت شروطا ً قاسية جداً بالنسبة لروسيا التي حرمت من حقها من أن يكون لها أسطول حربي في البحر الأسود، لكنها لم تخسر شيئاً من أراضيها باستثناء منطقة صغيرة عند مصب الدانوب[38].

بدأت مرحلة جديدة في تاريخ روسيا هي المرحلة الرأسمالية سنة 1860[39]، واضطرت القيصرية بهدف توطيد مكانتها إلى البدء في إجراء الإصلاحات البرجوازية، وفي 19 شباط 1861 وقع الكسندر الثاني مرسوم إلغاء نظام القنانة، الذي كفل الحرية

لـ (22,5) مليون فلاح كانوا تابعين للإقطاعيين، كذلك حق امتلاكهم العقار وممارسة النشاط التجاري والصناعي وممارسة الشؤون القضائية، وفي عام 1864 صدر قانون الحكم المحلي في الأرياف وفي المحافظات[40].

إن سقوط حق القنانة قد مهد التطور الرأسمالية بصورة أسرع ، وبعد عشرين سنة غدا العمل الآلي هو السائد، أزداد الطلب على الخامات وعلى المواد الغذائية ، وقد مهد ذلك لتطور الزراعة التجارية وتربية المواشي، وأصبح الاقتصاد يكتسب الصفة التجارية[41].

ظلت الأهداف الروسية تجاه الدولة العثمانية قائمة، لكنها تضاءلت نتيجة حرب القرم من جهة وانهماك روسيا بشؤون الشرق الأقصى من جهة ثانية وانشغالها بالمشاكل الداخلية التي نجمت عن إصلاح 1861 فيها من جهة ثالثة، فقد برزت مشاكل جديدة في اصقاع أخرى من الدولة العثمانية مما يعني حلول مرحلة جديدة في تاريخ المسألة الشرقية[42].

حدثت اضطرابات عام 1875 في مناطق البوسنة والهرسك ، بسبب قسوة الضرائب التي فرضها العثمانيون وتحولت الانتفاضة إلى ثورة ، حاولت روسيا الاستفادة من هذه الأوضاع المرتبكة وبدأت بأجراء مفاوضات بين بريطانيا والنمسا وروسيا وألمانيا، وأسفرت عن تقديم مذكرة (اندراسي) وزير خارجية النمسا إلى السلطان العثماني، ثم المطالبة فيها بإصلاحات معينة في البلقان والقضايا المتعلقة بالرعايا المسيحين في الدولة العثمانية وحاول السلطان العثماني تحقيق فحوى المذكرة لكن الثوار استمروا في ثورتهم. مما دفع السلطان العثماني إلى إنزال ضربة قاسية بهم. مما أدت إلى استياء وسخط دول أوربا ضد الدولة العثمانية. وأعلنت روسيا الحرب ضدها سنة 1877 وانضمت إليها صربيا ورومانيا والجبل الأسود وبلغاريا. وفي عام 1878 انهارت الدولة العثمانية. بسب عدم تدخل أوربا لصالحها[43].

عقدت الدولة العثمانية معاهدة (سان ستيفانو) في 3 آذار 1878، ومن أهم بنودها تنازل الدولة العثمانية عن بسارينا وقارص وباطوم وأوردهان إلى روسيا ، وهكذا توسع النفوذ الروسي في شرق البلقان[44].

وقد أدان تولستوي الحرب، باعتبارها ظاهرة منافية للعقل، ولم يبرر سوى الحرب الدفاعية تحريراً للوطن من الغاصبين المحتلين، وقد اشترك شخصياً في الحروب التي

دارت رحاها في شبه جزيرة القرم ومعارك سبا ستبول، فقد عاش أحداث الحرب ومآسيها[45].

كان الشعب الروسي رافضا للحرب التي زادت من مشاكله الاقتصادية، وكان العامل الديني ذريعة اتخذتها روسيا لإعلان الحرب ضد الدولة العثمانية من أجل تحقيق أطماعها الاقتصادية والتي تحقق لها ذلك بتوسعها وحصولها على مستعمرات. وكان تحرير الاقنان مهمة وطنية نادى بها المثقفون والأدباء والمفكرون، بل كانت عقبة رئيسة أمام تطور الاقتصاد الروسي الذي انطلق وبسرعة كبيرة بعد تحرير الاقنان، إذ أن الإنتاج المتقدم والعلاقات الإنتاجية المتخلفة، لا بُدَّ أن يكون منسجما مع علاقات الإنتاج حتى يكون الاقتصاد متقدماً .

1) العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية الروسية حتى الحرب العالمية الأولى 1914م

أ- **العوامل الداخلية :**

كانت للعوامل الداخلية الأثر الأهم في زعزعة الاستقرار داخل روسيا بالإضافة إلى الحكم الاستبدادي الذي يمارسه القيصر وبطانته، وتعالت الأصوات المنادية بالتغيير، وكانت الدعوة قد صدرت من الطلبة الذين أعلنوا ثورتهم عام 1890[46].

أسس لينين في بطرسبرغ سنة 1895 **(اتحاد النضال في سبيل الطبقة العاملة)** وكان هذا الاتحاد النقطة التي انبثق منها الحزب العمالي الثوري. وفي آذار 1898 انعقد في مينسك المؤتمر الأول لحزب العمال الاشتراكي – الديمقراطي الروسي، ولكن هذا المؤتمر لم يوفق إلى توحيد الحلقات والجماعات الاشتراكية – الديمقراطية المنفردة في حزب واحد. وكان الاقتصاديون قد عززوا مواقعهم في كثير من الحلقات الاشتراكية – الديمقراطية، وكان هؤلاء الاقتصاديون يقولون بعدم ضرورة النضال السياسي للطبقة العاملة وبعدم ضرورة اضطلاعها بدور القيادة وبعد تأسيسها لحزب عمالي[47].

كان عهد الإسكندر الثاني الذي جاء بعد وفاة نيقولا الأول الذي يعرف بالقيصر المحرر، لأنه قضى على عبودية الأرض وتم تحرير العبيد وأصبحوا أحراراً قانونياً ومهدت الطريق لتحديث الزراعة والصناعة في روسيا، وكان الفلاحون فقراء ويعانون من الضرائب الفادحة التي كانت تمول بناء السكك الحديد والاستثمار، كما أن اتساع التطور الاقتصادي أدى إلى نشوء أعداد متزايدة من رجال الأعمال والمزارعين ذوي

الأفكار التحررية الذين كانوا في حال من الغضب والسخط، فليس من الغريب أن تندلع الثورة في عهد نيقولا الثاني وهو آخر القياصرة وأقلهم إدراكاً وسعة أفق من نواح عديدة[48].

إلا أنه لم يكن بالرجل السياسي الفطن المؤهل لقيادة بلاده بهذه السعة والتنافر والتحديات، بل أنه كان من الضعف إلى الحد الذي غدا فيه طعماً هشاً لأحابيل الراهب راسبوتين[49] (Rasputin) صاحب الحظوة الواسعة لدى زوجة القيصر[50]. وكان يميل إلى استشارته ، وهو أفاك جاهل يتظاهر بالتدين في مسائل تتطلب مشورة رجل سياسي متزن ، وكان في اختياره نهج هذا الطريق اليائس متأثراً بآراء قرينته التي يؤلف افتتانها براسبوتين الراهب المحتال المستبيح النصاب فصلاً عجيباً من فصول علم النفس[51]. وقد وصفه تولستوي بأنه فلاح ذو عينين مجنونتين وقوة رجولية عاتية تسلل إلى القصر وبلغ العرش الإمبراطوري نفسه وراح يستهتر في روسيا مستهزئاً[52].

كان منزل راسبوتين مكتظاً على الدوام بالزوار الذين يحملون إليه الهدايا الثمينة، منزله بسيط المظهر لكنه مزدان بالطنافس الثمينة والإيقونات والصور، هدايا القيصر والقيصرة، ومن هذه الدار تخرج جميع التعليمات التي تدير دفة السياسة الروسية وتوجهها في كل سبيل[53]. لكن جوهر راسبوتين الحقيقي يكمن في ولعه بالدين ، وهذا هو المنفذ الوحيد للولوج إلى دواخله[54]. وتقول زوجته أنه وحش، وسارق، وأنه شخص مقرب من الأسرة الحاكمة الروسية إبان الحرب العالمية الأولى. استطاع الوصول إلى شبه اتفاق مع ألمانيا بموجبه تتوقف الحرب الدائرة بين الألمان والروس، وهذا يعني ضربة إلى الجبهة البريطانية، فاستطاعت بريطانيا بما تمتلكه من شبكة تجسس تشويه صورة الرجل واغتياله بالتعاون مع المخابرات البريطانية[55]. وأنا أستبعد صحة هذه الرواية، وأتفق مع الرواية التي تؤكد أن مجموعة من النبلاء قررت في عام 1916 التخلص من راسبوتين لإنقاذ روسيا بعد أن شاهدوه يتلاعب بأموال الدولة ويتحكم في بعض القرارات السياسية الهامة، وأحياناً يفرض آراءه على قيصر روسيا الذي كان ينصاع له بطريقة عجيبة وكأنه مسلوب الإرادة[56].

وقد تم التخطيط لاغتياله من قبل فلاديمير بورتيشكيفتش عضو مجلس الدوما (البرلمان)، والأمير يوسيوف نسيب القيصر وأغنى أغنياء روسيا، ومن قصره (قصر توريد)، وبمساعدة الأمير ليرانا أحد أعضاء الأسرة الحاكمة وعناصر أخرى وطنية،

قرروا وضع حد واستئصال شأفة راسبوتين المعصوم المقرب إلى قلب الإمبراطورة ألكسندر، مات بالرصاص وصمتت الشرطة عندما سمع دوي الرصاص[57]. ولم يتأثر لقتله سوى عائلة رومانوف[58].

وخلال ثورة شـــباط 1917 قام الناس بإخـــراج جثة راسبوتين وإحراقها[59]. وقد تكون هذه القصص مبالغا ً فيها، وأضيف عليها شيء من الخيال، لكن يبدو أن هذا الرجل كان مؤثراً على المجتمع إضافة إلى القصر، والناس يحاولون التقرب إليه ويحملون له الهدايا أثناء زيارتهم منزله ، وأنه يحل لهم بعض مشاكلهم، فيده مباركة، معنى هذا أن الرجل غير الذي يوصف ، وتوجه الأنظار نحوه بدافع الحقد والكراهية والغيرة من قربه من القصر والعائلة المالكة والتي أكسبته شهرة واسعة أودت بحياته .

ومن أهم الصحف الإيسكرا (الشرارة)[60] التي صدر العدد الأول منها أواخر عام 1900[61]. وكانت صحيفة الإيسكرا التي أسسها لينين وهي صحيفة سياسية لعامة روسيا[62]. وهي أول صحيفة غير شرعية للحركة الماركسية سيطر عليها المنشفيك[63]. وكانت ترسل سرا إلى روسيا وأسهمت بقسط كبير في توحيد الاشتراكيين – الديمقراطيين الروس في الميدان الفكري، وفي تحضير اتحاد المنظمات المبعثرة المحلية في حزب ماركسي ثوري، وبعد انقسام الحزب إلى بلاشفة ومناشفة في المؤتمر الثاني عام 1903، استولى المناشفة على الصحيفة ابتداءً من العدد 52 فسميت منذ ذلك الحين بإيسكرا الجديدة خلافاً (للإيسكرا) القديمة اللينينية[64]. وفي مطبعة صغيرة في قرية على مقربة من لايبزج في ألمانيا كانت تطبع الإيسكرا من قبل صاحب المطبعة غيرمان راد وكان اشتراكياً – ديمقراطياً، وقد تم تقديم المساعدة للروس من قبل الاشتراكيين – الديمقراطيين الألمان[65].

أصبحت صحيفة (الإيسكرا) مدرسة لتربية العمال تربية ثورية ، وكانت تشمل جميع جوانب الحياة، وتبث الوعي الاشتراكي بين الجماهير العمالية وتشجب كل ظاهرة من ظواهر الاضطهاد والتعسف كالتنكيل بالعمال ، وإهانة الفلاحين ، وظلم الشعوب غير الروسية وتحقير المثقفين، وملاحقة ذوي العقائد الدينية غير الأرثوذوكسية ، وتدعو إلى القضاء على التنظيم الاجتماعي الجائر، والرد على كل مظهر من مظاهر العنف والاضطهاد، وتربي شعور التضامن العمالي العالمي، وبرز من العمال الذين يعملون

بتفانٍ وهمة العامل بايوشكين والمثقف باومن، وقامت الصحيفة بدور بارز في إنشاء الحزب وتطويره[66].

صار إضراب عمال النسيج في بطرسبورج البالغ عددهم 30 ألف في أيار – حزيران ، 1896 من حيث الأبعاد وحسن التنظيم في ذلك الحين قمة نشاط **(اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة)** ، وقام (اتحاد النضال) قبيل الانتفاضة بإصدار منشور أول أيار في ألفي نسخة جرى توزيعها في 40 من مصانع بطرسبورج ، وتحول السخط الذي أثاره المنشور إلى إضراب منظم ، وطالب العمال بتخفيض ساعات العمل إلى عشر ساعات ونصف ، واستمر الإضراب قرابة الشهر ، فقد ظل مطلب تخفيض ساعات العمل حتى 11 ساعة ونصف يطبق في كل روسيا ، إن صدور هذا القانون كان انتصاراً جدياً للحركة العمالية الجماهيرية[67].

كانت الحكومة القيصرية المستبدة لا تزال قائمة بعد أن تغلبت على ثورة الطلبة سنة 1899[68]. وكان هناك العديد من العقبات أمام تحديث المجتمع الروسي ، وكانت سلطة القيصر والحكم الأوتوقراطي وتجاهل مطالب الشعب أدى إلى تأخر الإصلاح فيها كثيراً ووضعها في عزلة عن العالم[69]. وعانت المؤسسات العسكرية والاقتصادية ومصانع الأسلحة من تفشي الفساد ، والقوى البحرية موزعة بين بحرين داخليين هما الأسود والبلطيق مما يعني تشتت الجهد وصعوبة إسناد أحدهما للآخر ، هذا ما أوضحته أحداث الحرب مع اليابان سنة 1904 – 1905 والتي انتهت بهزيمة منكرة للروس[70].

وكان التعبير عن معارضة الحكم الاستبدادي من خلال حزبين يمثلان الطبقة الوسطى العليا ومن خلال الأحزاب الاشتراكية ، الحزب الثوري الاشتراكي ومعظم أعضائه معتدلون ، والمناشفة ويمثلون جناح الأقلية من الديمقراطيين الاجتماعيين وإن كان ذلك على أساس صوت واحد في اجتماع واحد، والبلاشفة وهم جناح الأغلبية من الديمقراطيين الاجتماعيين والأكثر تشدداً في الالتزام بالثورة. وكانت أكثر المنافذ إرضاء للعمل السياسي العملي تتمثل في المجالس الريفية والمجالس البلدية[71].

حدثت نهضة جديدة لحركة الطلبة يعد أحداث شباط وآذار سنة 1901 ، نهضة تظهران عفوية الاحتجاج على الحكم المطلق تسبق في هذا الميدان أيضاً القيادة الواعية للحركة من قبل الاشتراكية الديمقراطية ، إن نزوع العمال العفوي إلى الدفاع عن الطلاب الذين انهالت عليهم عصي الشرطة والقوزاق يسبق نشاط المنظمة الاشتراكية –

الديمقراطية الواعي[72]. وتنظيم عملية الدفاع في إضراب عمال مصنع أبو خوف في أيار من نفس العام والذي كان ذروته الصدام بين قوات الجندرمة والجيش في الشوارع، ومظاهرة أول أيار عام 1902 في سورمونو التي رفع العامل بيترزالوموف خلالها وفوق رؤوس المتظاهرين راية تحمل الشعارين "**يسقط الحكم الاستبدادي**" ، "**تعيش الجمهورية الديمقراطية**" وأخيراً الإضراب الذي عم مدينة روستوف على الدون في تشرين الثاني عام 1902 والذي أرسى بداية اللقاءات السياسية الجماهيرية تحت قيادة المنظمات الاشتراكية الديمقراطية ، وقد جرى التوصل إلى تعميم وتطوير طرق ووسائل وأشكال النضال أثناء الإضراب العام الذي اجتاح جنوب روسيا عام 1903 ، وشمل عشرات المدن والمراكز الصناعية في أوكرانيا والدونياس شمال وما وراء القفقاس[73].

انتفض الفلاحون في مقاطعتي بولتافا وخاركوف وغيرها من المقاطعات سنة 1902 وهاجموا الملاكين العقاريين ، واقتحموا مستودعاتهم واقتسموا ممتلكاتهم، ووزعوا الحبوب، وطالبوا باقتسام الأرض ، وقرروا أن من الأفضل لهم أن يموتوا في غمرة النضال ضد الطغاة من أن يهلكوا من الجوع ، دون النضال ، ولكن أحوال الفلاحين لم تتحسن ، استخدمت الحكومة القوة وإطلاق النار ، وقتلت الكثير منهم ، وعذبت وجلدت الكثيرين بالسوط حتى الموت ، وكان الجنود يغتصبون نساء الفلاحين وبناتهم[74].

إن لمؤلف لينين (ما العمل) الصادر سنة 1902 ولمؤلفاته الأخرى الدور الحاسم في تحطيم المسيطرين على الاقتصاد وفي النضال لجمع الحلقات الاشتراكية الديمقراطية المبعثرة وتوحيدها في حزب كفاحي عمالي يتصف بوضوح البرنامج الماركسي والخطة الثورية ووحدة الإدارة وبنظام طاعة حديدية[75]. وصدرت مجلة (**زاريا الفجر**) ماركسية علمية وسياسية بإشراف صحيفة الإيسكرا 1901 – 1902[76].

أعلن عمال باكو في كانون الأول عام 1904 إضراباً عاماً[77] ، وتوصل العمال إلى تحديد يوم العمل بتسعة ساعات وإلى توقيع أول عقد جماعي في تاريخ حركة العمال في روسيا مع أصحاب العمل ، وقد كان لهذا الإضراب بعض الأهمية في تعبئة قوى الثورة[78]. وكانت الإضرابات تحصل بالرغم من عدم وجود أية نقابات تذكر ، ففي أيار 1896 نشب في مدينة بطرسبورغ إضراباً جماهيرياً واسعاً شارك فيه

30000 عامل من عمال النسيج احتجاجاً على يوم العمل الطويل الذي يستغرق أربع عشرة وخمس عشرة ساعة ، وفي تشرين الثاني 1902 قام إضراب لعمال السكك الحديد وأضرب في روستوف على الدون ، وفي عام 1903 حصلت انتفاضة لعمال النفط في روسيا الجنوبية وإضراب جماهيري في أوديسا ، ولقد قمعت جميع تلك الإضرابات ونظمت ضدها مذابح قاسية، ولكن العمال تمكنوا من تنظيم بضعة نقابات سرية ومجموعة من الاتحادات الاجتماعية. وباندلاع ثورة 1905 قامت نقابات علنية ، وقد وصفت الحركة الإضرابية لسنتي 1904 – 1905 بأنها أكبر إضراب جماهيري في العالم قادها لينين وحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي[79].

من الصعب تحديد تاريخ معين لقيام الحزب البلشفي ، ففي آذار 1898 تم انعقاد مؤتمر الحزب ، وفي عام 1903 انعقد المؤتمر الثاني وهو الذي يطلق عليه المؤتمر التأسيسي للحزب ، إلا أنه من الأصح إطلاق المؤتمر التأسيسي الأول على المؤتمر الثالث المنعقد في نيسان 1905 كونه لم يحضره أحد من جناح المناشفة[80]. ويؤكد لينين أن البلشفية بوصفها اتجاهاً لأفكار سياسية ، وبوصفها حزباً سياسياً موجوداً منذ سنة 1903[81]. ويعد هذا الاجتماع الأساس الحقيقي للحزب ، ولكنه شهد الانقسام بين البلاشفة والمناشفة الذي اتسع حتى شهد الانفصال رسمياً بعد عام 1912 ، وقد حضر المؤتمر ممثلين لخمس وعشرين منظمة ديمقراطية اجتماعية معترف بها لكل منها صوتان[82]. وكانت الطبقة العاملة الروسية قد أسست سنة 1905 حزباً جماهيرياً ثورياً قوياً وفي الوقت نفسه بدأ الفلاح الروسي يتحول إلى الديمقراطية بينما يزيح عن أكتافه الكاهن والملاك العقاري[83]. وكذلك شهدت ظهور عدة أحزاب منها الأكتوبريون والديمقراطيون الدستوريون الكادت ، وكان هذان الحزبان من الأحزاب المعتدلة التي تميل إلى التطور الدستوري التدريجي ، والحزب الديمقراطي الاشتراكي وحزب الثوريين الاشتراكي ، فكانا يدعوان إلى تخليص الشعب من الرأسمالية والإقطاعية ، ونقل ملكية الأرض إلى الشعب ملكية عامة لا خاصة[84]. وهذا يؤكد أن الفكر الاشتراكي لعب دوراً بارزاً في تهيئة وإعداد المجتمع لعمل مستقبلي ، يفتح فيه أبواب التقدم والتطور والتخلص من النظام القيصري الاستبدادي ، وأصبحت القاعدة الجماهيرية لحزب البلاشفة واسعة ومؤثرة من خلال ما أكدته الثورة في كانون الثاني

1905 بالرغم من أن روسيا كانت مشتبكة في حرب مع اليابان ، فقد واجه القيصر وحكومته هذه الثورة بالقوة فوقعت أحداث الأحد الدامي في 22 كانون الثاني 1905.

والتي دعا البلاشفة العمال إلى الإطاحة بسلطة القيصر واجتمع عمال بطرسبورغ للذهاب إلى القيصر يوم العيد ، وهو يوم عطلة المصانع ، نفذ الجنود الأمر القيصري بإطلاق الرصاص ، وقتل أكثر من ألف شخص ، وانهار الولاء والثقة بالقيصر ، وبدأت الثورة الروسية التي اجتاحت البلاد كلها، وأضرب العمال وانتفض الفلاحون من أجل انتزاع الأرض من الملاكين العقاريين[85].

زحف عشرات الألوف من العمال ترافقهم زوجاتهم إلى القصر الشتوي لغرض تقديم استرضاء سلمي لتحديد يوم العمل بثماني ساعات ، وتقدير حد أدنى للأجور ، وتحسين ظروف العمل ووسائل الحماية في المصانع وإقامة جمعية تأسيسية وانتخابات عامة ، يكون التصويت فيها سرياً وعلى درجة واحدة ، وكان الكاهن الأب جورج غابون قد اشترك مع العمال وكان الناطق بلسانهم ، وقد أعلن غابون "**لم يصلنا قيصر ، فإن نهر من الدم يعزل القيصر عن الشعب ، وليعش الصراع من أجل الحرية**"[86]. مع ذلك تبين أن القس غابون متآمر وعميل للدولة[87].

اشترك عام 1905 حوالي مليونان وثمانمائة ألف شخص في الحركة السلمية ، وكانت أهدافهم واضحة "**منح الحريات ، المدنية الأساسية ، إيجاد برنامج للإصلاح الزراعي بصورة تدريجية ، إجراء الانتخابات العامة**" ، إلا أن الحكومة واجهتها بقسوة متناهية[88]. كان لينين ينظر إلى غابون بعين العطف ، وهو يحيي نهوض العمال ضد القيصر مشيراً إلى آلاف القتلى والجرحى ، واعترف بالأب غابون زعيماً لعمال بطرسبرغ[89]. وفي 1906 وقع غابون في الفخ بعد أن ثبتت خيانته ، انقض عليه العمال وضربوه ثم شنقوه وأخفوا جثته[90].

كانت الثورة العمالية الروسية عام 1905 قد مثلت الخطر الحقيقي على سلطات القيصر ، فطلبة الجامعات والفئة الوسطى وقفوا ضد الأوضاع المضطربة وطالبوا بأهمية الإعلان عن الدستور لتنظيم الحياة المدنية ، وطالب الفلاحون بتحسين الأوضاع ووضع نظام جديد للأراضي، وضرورة الالتفات إلى قضية المنفيين في الصحارى الجليدية في سيبيريا، والتجاوزات والاعتداءات على حقوق المواطنين ومطالبة الأقليات القومية بحقوقها، ومحاولة تحقيق أمانيها القومية[91]. وتحت تأثير الأحداث في روسيا

شدد العمال الصراع الطبقي. وبلغت الإضرابات سنة 1905 من العمال ضعفي ما حدث في السنتين السابقتين ، ومعظم الإضرابات اتخذت طابعاً سياسياً ، وانتهى بعضها إلى صدامات مع القوات المسلحة، مثل ما حدث في إضراب هافيلاند في لوموج في نيسان عام 1905[92]. وقد نظمت الحكومة حركة معادية للثورة مستعدة للعمل عسكرياً[93].

عقب الأحد الدامي بدأ الإضراب في موسكو في اليوم التالي ، وعمم الآخرون جميع المدن الروسية وخرج العمال إلى الشوارع عارضين مطاليبهم السياسية ، وكان شعارهم الرئيسي هو "**يسقط الحكم المطلق**" ، وأصبح الأحد الدامي هو بداية الثورة الروسية الأولى[94].

أصدر القيصر بياناً في 30 تشرين الأول 1905 وعد فيه بإشراك جميع السكان في انتخابات دوما الدولة ويمنح الدوما حق إصدار القوانين وسوف يمنح الشعب الأسس الراسخة للحرية الأهلية والحصانة الفعلية وحرية العقيدة والكلمة والاجتماعات والاتحادات[95]. محاولاً امتصاص النقمة الشعبية على نظامه ، وعليه تم الإعداد للدخول في الحياة الدستورية من خلال تأسيس المجالس المحلية التي انتخبت بدورها اللجنة المركزية ، وهكذا بدأ البرلمان الروسي مجلس الدوما أعماله عام 1905 ، إلا أن هذه الدعوة لم تتجاوز الطابع الصوري ، إذ بقيت أزمة الثقة بين الحكومة والبرلمان حاضرة بشكل دائم ليسفر عن هذا ضياع الجهود ودخول البلاد في سلسلة لا تنقطع من الفوضى العارمة[96].

أكد لينين بقوة يقينه الراسخ بأن الاشتراكية – الديمقراطية التي برهنت أثناء الثورة أنها حزب الطبقة العاملة والتي استطاعت أن تجر خلفها الملايين إلى الإضراب وإلى الانتفاض المسلح سنة 1905 تستطيع أن تساعده على اجتياز هذه الظروف العصيبة[97]. وقد ظهرت الاشتراكية – الديمقراطية في روسيا إلى الوجود عشية الثورة البرجوازية الديمقراطية 1905 وتوطدت في عصر الثورة والثورة المضادة [98]. التي سنتكلم عنها في الصفحات القادمة ، عقد مؤتمر بلشفي بقيادة لينين في لندن في عام 1905 ، في ذات الوقت عقد مؤتمر المناشفة في جنيف وقد ثار بينهما نزاع حول قضايا أساسية في الثورة الروسية ، فالمناشفة تمسكوا بالتتابع الماركسي الأصلي الخاص بالثورة البرجوازية – الديمقراطية ، بالثورة العمالية – الاشتراكية ولم يقبلوا نظرية لينين التي عرضها عام 1898 عن وجود حلقة تربطهما معاً[99].

كانت هناك انتفاضة في سباستبول تتنامى وهي ليست بمعزل عن ثورة 1905 من باب الصدفة ، إذ اشتدت مطالب الجنود في الأسطول والجيش وهي تحسين المأكل والألبسة والمساكن وزيادة الراتب ، وأن هذه المطالب تبين أن الجيش متضامن بأغلبيته الساحقة مع السباستبولين المنتفض من أجل الحرية. وبدأت الانتفاضة المسلحة في تشرين الثاني 1905 واستمرت 5 أيام مطالبين بعقد الجمعية التأسيسية ، وإقامة الجمهورية الديمقراطية وحرية الكلام والاجتماعات وكذلك تطبيق يوم العمل من ثماني ساعات وتحسين شروط الحياة ، وحاول البلاشفة أن يوجهوا الانتفاضة في طريق الكفاح المسلح، لكن المناشفة عارضوا الانتفاضة المسلحة ، الأمر الذي أدى إلى التنافر في صفوف الثوار وقمعت الانتفاضة من قبل السلطة[100].

كانت ثورة 1905 تعبر عن عمق ومشاركة القوميات الروسية وشعوبها ، ولم تكن الثورة قومية ، ومما يعبر عن ذلك وقوف الأوكرانيين واللاتيفيين والجورجيين وشعوب روسيا الأخرى مع الشعب الروسي ، وفي كانون الأول 1905 حدثت أكبر انتفاضة مسلحة في موسكو ، وبدأ عمال موسكو الإضراب بناءً على دعوة (سوفييت) موسكو لنواب العمال الذي كان البلاشفة يقودونه ، وخرج العمال إلى الشوارع وتجمعوا وحملوا رايات الثورة الحمراء وتحول الإضراب إلى انتفاضة مسلحة ضد القوات القيصرية[101]. وقد طالبت جماهير الفلاحين عبر نوابها في الدوما الأولى والدوما الثانية بانتزاع الأراضي من الملاكين العقاريين دون أي تعويض ، وقد دعا حزب العمال الاشتراكي – الديمقراطي الفلاحين إلى النضال الثوري الموحد مع العمال[102]. وكانت ثورة 1905 قد واجهت مهام إسقاط الحكم المطلق والقضاء على عهد القنانة التي كانت تتخلل جميع ميادين الاقتصاد والحياة الاجتماعية ، وتولد أفظع أشكال استثمار الطبقة العاملة الرأسمالي وتعرض الفلاحون الذي يؤلفون أكثرية السكان في روسيا إلى العوز الدائم والخراب والبؤس. وقد ناضل الفلاحون من أجل تصفية الملك الإقطاعي للأرض وهي القضية الرئيسية في الثورة[103]. إن انتفاضة موسكو المسلحة التي قام بها العمال هي جزء من أحداث الثورة[104]. ففي بلد من أكثر البلدان رأسمالية تأخراً ، بلغت الحركة الإضرابية لأول مرة في العالم من السعة والقوة ما لم يشاهد له مثيل ، كان عدد المضربين يربو عشرة أضعاف على المعدل السنوي للسنوات العشر السابقة (1895 – 1904) ، وتصاعدت الإضرابات باستمرار وبلغت مقاييس ضخمة ، وكانت روسيا

المتأخرة أول بلد أظهر للعالم تصاعد انطلاق الجماهير المظلومة ، وتحولت الإضرابات إلى انتفاضة مسلحة[105]، كانت شعاراتها يجب حمل السلاح بمزيد من الحزم ، وبروح هجومي أشد ، لابد من نضال مسلح وعدم كفاية الإضرابات السياسية السلمية ، يجب السعي من أجل الانتفاضة المسلحة ، خوض حرب ضارية ، دامية بوصفها الهدف المباشر[106]. واشتدت حركة المطالبة بالإصلاح وكانت قد ظهرت في سانت بطرسبورغ في 1904 – 1906 صحيفة يومية ذات طابع حر أطلق عليها اسم شاشازمر (حياتنا)[107].

كان التغير قد بدأ في مجال الحياة الدستورية وتأسيس مجلس الدوما (البرلمان)[108]. عام 1906 فان هذا الأمر لم يكن وليد التبدل الصميم في الحياة السياسية، بقدر ما كان محاولة للاتفاق على الأوضاع وكسب الوقت ، وهكذا بقيت المسألة الداخلية تشير إلى معالم التأخر وعدم الاستقرار ، واستمرار حالة الأزمات والاضطراب والخلل الذي عم مفاصل الحياة العامة ، ولم يكن هذا الواقع بعيدا عن توجس رجال الإدارة والسياسة العليا ، الذين أحسوا وبعمق ، حالة التوثب التي تعيشها العناصر الثورية داخل الوسط الروسي[109]. واستمرت المعارضة بحمل السلاح ونمت الحركة الثورية من جديد بدءا من عام 1912 اثر مذبحة في صفوف مناجم الذهب في لينا في سيبيريا ، وأخذت صحيفتهم البرافدا التي صدر أول عدد منها في 5 أيار 1912 تلقى نجاحا متزايدا[110]. وقد اضطلعت صحيفة البرافدا (الحقيقة) العمالية العلنية اليومية التي تأسست بمبادرة من لينين ، بدور كبير في تنظيم الحزب للجماهير وغدا تاريخ صدورها يوم عيد الصحافة العالمية ، وقد كانت تدافع عن مطالب العمال ، تحسين الأجور ، وتحسين شروط العمل المعيشة ، وبين مصلحة الشعب المشتركة أي إسقاط الحكم المطلق ، وكانت التقارير اليومية في الصحيفة عن الاضرابات ومطالب المضربين ، وربت الصحيفة شعور التضامن الطبقي في جماهير العمال ، وكانت تقرأ بصور جماعية على شكل حلقات ، وكانت تلقى رسائل العمال وتنشر أفكارهم ، وبلغ عدد النسخ الصادرة يوميا 40 ألفا، وقد حاولت السلطات القيصرية أن توقف إصدارها وإغلاقها ، ولكنها كانت تصدر باسم آخر ، وكانت الغرامات النقدية ترهق الجريدة كثيرا ، على أمل خنقها، ولكن العمال كانوا يهبون إلى تقديم المساعدات المالية[111]. ورفعت ضد محرريها 36 قضية أمام المحاكم ، وحكم عليهم بالسجن وأغلقت 8 مرات

ومع أن صحيفة البرافدا كانت مصرح لها بالصدور ، فقد قامت في الوقت نفسه بعمل سري كبير ، فقد كانت اللجان الحزبية المحلية تتلقى عن طريقها تعليمات لينين واللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي[112].

كان أول السوفيتيات هو (سوفييت ميترو يتروغراد) يضم حوالي 550 مندوبا يمثلون 25,000 ألف عامل وكان ابرز الديمقراطيين الاشتراكيين بين صفوفه هو تروتسكي الذي كان في النزاع داخل الحزب أما محايدا أو منشفيا ، فقد كان دور البلاشفة في سوفيتيات عام 1905 ضئيلا وقد حافظ على مظهر الوحدة الروسية في الحزب خلال اجتماعاته 1908، 1910 المنعقدة في باريس والتي تم فيها التوفيق بين البلاشفة والمناشفة ، وكانت تكمن وراء مظاهر وحدة الحزب التي استمرت رغم الصعوبات الكثيرة من عام 1906-1911 ، خلافات تزداد عمقا مع مرور الوقت والإحساس بالإخفاق والهزيمة ، فقد ظل المناشفة جماعة كبيرة ولكنها غير متماسكة وكان البلاشفة أكثر تماسكا وسياسة أكثر تهديدا بسبب سيطرة زعيمهم لينين ، وكان تروتسكي من بين الذين لم ينتموا إلى أي من الفريقين فقد اكسبه تفوقه الفكري مركزاً في ميدان النظرية من كل من البلاشفة والمناشفة ، وان لم يكن له أنصار[113]. وهذا موقف انتهازي ، كان يراقب المنتصر لينضوي تحت لوائه.

الهوامش :

(1)الآن بالمر، موسوعة التاريخ الحديث (1789-1945)، ج1، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 1992، ص261.

(2) مصطفى كامل، في المسألة الشرقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008، ص19.

(3) المصدر نفسه، ص20.

(4) عبد العزيز سليمان نوار وعبدالمجيد نعنعي، التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، ص231.

(5) مصطفى كامل، المصدر السابق، ص20.

(6) جورج لنشوفسكي، الشرق الوسط في الشؤون العالمية ، ط1، ترجمة جعفر الخياط ، دار الكشاف للطباعة والنشر، العراق، 1959، ص35.

(7) أحمد نوري النعيمي، تركيا وحلف شمال الأطلسي، المطبعة الوطنية، الأردن، 1981، ص46.

(8) مصطفى كامل، المصدر السابق، ص20.

(9) محمد جواد علي، الصراع الأمريكي السوفيتي في المحيط الهندي مطبعة الأديب البغدادية، 1986، ص95-96.

(10) محمد محمد صالح وآخرون، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، مطبعة جامعة بغداد، 1985، ص196-197.

(11) ميمونة حمزة المنصور، تاريخ الدولة العثمانية، دار الحامد، عمان، 2008، ص167.
(12) جورج لنشوفسكي، المصدر السابق، ص40.
(13) هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية المرحلة الأولى 1774-1856، جامعة بغداد، 1990، ص80.
(14) عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، المصدر السابق، ص233.
(15) سيرريدر بولارد، بريطانيا والشرق الأوسط من أقدم العصور حتى 1952، ترجمة حسن احمد السلمان، مطبعة الرابطة، بغداد، 1956، ص59.
(16) هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص21-22.
(17) أحمد نوري النعيمي، المصدر السابق، ص51.
(18) جورج لنشوفسكي، المصدر السابق، ص36.
(19) سباستبول، اكبر الموانئ البحرية في روسيا، وقاعدة لأسطول البحر الأسود الحربي، وهي صعبة المنال. لكن تحصينها ضعيفاً من البحر، ومقاومة الروس كانت عنيفة . انظر ، بييفانوف وفيروسوف ، المصدر السابق ، ص345 ، بوريس فوبتكيوف ، سقوط سباستبول ، ترجمة فؤاد عبد القادر حمزة . مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، 1956، ص10-37.
(20) جورج لنشوفسكي، المصدر السابق، ص37.
(21) عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، المصدر السابق، ص34.
(22) عبد العزيز نوار وعبد المجيد نعنعي ، المصدر السابق ، ص235.
(23) هـ. أ. ل. فشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث (1789 – 1950) ،ط5، تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، دار المعارف، مصر، د.ت ص221.
(24) شيمدت وآخرون، المصدر السابق، ص86.
(25) عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، المصدر السابق، ص238.
(26) نقلاً عن بييفانوف وفيدوسوف ، تاريخ الاتحاد السوفييتي، ترجمة خيري الضامن ونقولا طويل، دار التقدم- موسكو، (د.ت). ص334-336.
(27) هـ. أ. ل. فشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث (1789 – 2950) ، ص219.
(28) عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، المصدر السابق، ص232.
(29) الآن بالمر، المصدر السابق، ص341-342.
(30) عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، المصدر السابق، ص232.
(31) هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص 17.
(32) جورج لتشوفسكي، المصدر السابق، ص47.
(33) بريوسوف وآخرون، موجز تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، ترجمة طه الصواف، دار الطبع والنشر باللغات الأجنبية، موسكو، (د.ت)، ص144
(34) المصدر نفسه، ص145.
(35) محمد محمد صالح وآخرون، المصدر السابق، ص197.
(36) جورج لنشوفسكي، المصدر السابق، ص46-47.
(37) هـ. أ. ل. فشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث (1789 – 2950) ، ص255؛ عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، المصدر السابق، ص240؛ هاشم صالح التكريتي ، المصدر السابق ، ص302.
(38) هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص154 – 157.
(39)شميدت وآخرون ، موجز تاريخ الاتحاد السوفييتي ، دار التقدم ، موسكو ، 1986، ص87-88.
(40) بريوسوف وآخرون، المصدر السابق، 155-157.

(41) هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق ، ص207.
(42)المصدر نفسه ، ص207.
(43) أكرم عبد علي، تاريخ أوربا الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص174-175.
(44) المصدر نفسه، ص175.
(45) مكارم العمري ، الرواية الروسية في القرن التاسع عشر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، ص226.
(46) إسماعيل نوري الربيعي، تاريخ أوروبا السياسي المعاصر، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص27.
(47) بريوسوف وآخرون، المصدر السابق، ص183.
(48) محمد محمد صالح وآخرون ، المصدر السابق، ص774 – 776.
(49) راسبوتين، ولد في 10 كانون الثاني 1896. غريغوري يفيموفيش في قرية بوكروفسكويه من منطقة تيومن، محافظة توبولسك. من عائلة فلاحية طيبة، متوسطة الحال. وكان أمياً. وحياته مليئة بالمغامرة والترحال؛ أنظر: ن. ل. تيليستين، غريغوري راسبوتين، ترجمة حسان ميخائيل إسحق، ط2، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، سورية، 2008، ص9.
(50) إسماعيل نوري الربيعي، المصدر السابق، ص22.
(51) هـ. أ. ل. فشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث (1789 – 2950) ، ص480.
(52) ألكسي تولستوي، درب الآلام، ترجمة غائب طعمة فرحان، دار التقدم، موسكو، 1975، ص17.
(53) غستوت لرو، راسبوتين ونساء وقياصرة، ترجمة نخبة من الأدباء، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، د.ت.، ص601.
(54) كولن ولسن، راسبوتين، ترجمة خليل حنا قادرس، مكتبة النافذة، الجيزة، 2005، ص60.
(55) نقلاً عن محمد رمضان، راسبوتين الراهب الفاجر، كنوز للتوزيع والنشر، القاهرة، 2009، ص120.
(56) جان بول أوليفية، متى يطلع الفجر يا رفيقي، مقدمة الثورة الروسية، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، 1970، ص173 – 181.
(57) كولن ولسن، المصدر السابق، ص60.
(58)ف. ل. تيلتيسين، المصدر السابق، ص257.
(59) محمد رمضان، المصدر السابق، ص20.

(61) لينين، المختارات في10 مجلدات، المجلد5، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو ،ص109– 111.
(62) بريوسوف وآخرون، المصدر السابق، ص184.
(63) V. L. Lenin, on Tradunions, A Collection of Articles and Speeches, Progress Publishers, Moscow, 1970, p. 453.
(64) لينين، خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء ، دار التقدم ، موسكو ، 1970 ، ص313.
(65) ماريا بريليجايفا ، حياة لينين ، ترجمة خيري الضامن ، دار التقدم، موسكو، 1976 ، ص52 – 55 .
(66) Ponomarev, and others, A Short History of the Communist Party of the Soviet Union, translated, David by Shuirsky, Progress Publishers, Moscow, 1970, pp. 36 – 38.
(67) شميدت وآخرون، المصدر السابق، ص102.
(68) هـ. أ. ل. فشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث (1789 – 2950) ، ص487.
(69) ج. م. روبرتس، موجز تاريخ العالم، ترجمة فارس قطان، وزارة الثقافة، دمشق، 2004، ص733.
(70) إسماعيل نوري الربيعي، المصدر السابق، ص22.

(71) آرثر مارويك، الحرب والتحول الاجتماعي في القرن العشرين، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 1990، ص39.
(72) لينين، المختارات في ثلاث مجلدات، المجلد 1، ج1، دار التقدم، موسكو، 1971، ص255 – 256.
(73) شميدت وآخرون، المصدر السابق، ص103.
(74) لينين ، التحالف بين العمال والفلاحين، دار التقدم ، موسكو، 1970، ص102 – 103.
(75) عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، المصدر السابق، ص246 – 247.
(76) محمد علي القوزي، العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 2002، ص108.

(78) لينين ، التحالف بين العمال والفلاحين، دار التقدم ، موسكو، 1970، ص102
(79) وليم ز. فوستر، موجز تاريخ الحركة النقابية العالمية(1876–1914)، ج2، ترجمة عبد الحميد الصافي، دار الثورة، بغداد، 0د.ت)، ، ص95 – 100.
(80) لينين، عن النقابات، ترجمة الياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1973، ص47.
(81) لينين، المختارات في 10 مجلدات، المجلد 5 ، ص275.
(82) Carr, The Polshevik Revolution 1917 – 1923, Volume. P30
(83)جون س. ريشيتارجوليور، تاريخ الحزب الشيوعي السوفيتي، ترجمة فوزي قيلاوي، نيويورك ، د. ت، ص20.
(84) عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي ، المصدر السابق، ص416 – 417.
(85) لينين،المختارات في10 مجلدات، المجلد6، ص134، جون س ريشيتار جوليور،المصدر السابق،ص53.
(86) لينين ، المختارات في 10 مجلدات، المجلد 6 ، ص134 ؛ جون س ريشيتار جوليور ، المصدر السابق ، ص53.
(87)شميدت وآخرون، المصدر السابق، ص103.
(88) هاري وبوناروا وفرتريت، الثورة الدائمة، ترجمة دار النشر الجديد، نيويورك، د. ت ، ص8 – 9.
(89) جون س. ريشتيارجوليور، المصدر السابق، ص54.
(90) آلان بالمر، المصدر السابق، ص117.
(91) إسماعيل نوري الربيعي، المصدر السابق، ص23.
(92) جورج كونيو، درس الثورة الروسية الأولى، الثقافة الجديدة، مجلة العراق، العدد 76، تشرين الأول، 1975، ص19.
(93) لينين، المختارات في ثلاثة مجلدات،المجلد1، الجزء2، دار التقدم، موسكو، 1971، ص165–167.
(94)جورج كونيو، مصدر سابق، ص19.
(95) المصدر نفسه، ص43.
(96) إسماعيل نوري الربيعي، المصدر السابق، ص23 – 24.
(97) لينين، المختارات في ثلاثة مجلدات، المجلد 1، ج1، ص18.
(98) لينين، المختارات في 10 مجلدات، المجلد 5، ص418.
(99) Carr, OP. cit. vol,1. p. 32.
(100) لينين، المختارات في 10 مجلدات، المجلد 3، ص31 – 51.
(101)الكسيف وكارتسوف، تاريخ الاتحاد السوفييتي، دار التقدم، موسكو، د.ت،، ص102.
(102) عبد العزيز سليمان نوار وعبد الحميد نعنعي، المصدر السابق، ص416 – 417.

(103) بريوسوف وآخرون، المصدر السابق، ص191.
(104) صادق الفلاحي، دور الحركة النقابية السوفيتية، الثقافة الجديدة، مجلة العراق، العدد 36، 37، أيار، حزيران، 1972، ص19.
(105) لينين، المختارات في ثلاثة مجلدات، المجلد 3، ج1، ص546 – 547.
(106) لينين، المختارات في 10 مجلدات، المجلد 3، ص48 – 54.
(107)V. Lenen, Ontrad Unions, , p. 494.
(107) دوما الدولة/ مؤسسة تمثيلية نيابية ، دعتها إلى الانعقاد الحكومة القيصرية نتيجة للأحداث الثورية في عام 1905 ، كانت شكلاً هيئة تشريعية ، ولكنها كانت فعلاً مجردة من كل سلطة ، أنتخب دوما الدولة الثالث على أساس القانون الانتخابي الجديد الصادر في 3 حزيران 1907 . ضمن هذا القانون السيطرة في الدوما لكتلة الملاكين العقاريين وكبار الرأسماليين . أنظر : لينين، بصدد الجملة الثورية ، ترجمة الياس شاهين، دار التقدم، موسكو ، (د. ت) ، ص 209 – 210
(109) إسماعيل نوري الربيعي، المصدر السابق، ص65.
(110) جان بروها، تاريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة وليد خوري، مؤسسة النوري للنشر والتوزيع، دمشق، د.ت.ص9.
(111) Ponomarev, and others, , P.P. 78-80.
(112)المصدر السابق، ص48–49.
(113) Carr, Op. Cit., Vol. I, P. 32.

المصادر

المصادر العربية

1- أحمد نوري النعيمي، تركيا وحلف شمال الأطلسي، المطبعة الوطنية، الأردن، 1981.
2- آرثر مارويك، الحرب والتحول الاجتماعي في القرن العشرين، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 1990، ص39.
3- إسماعيل نوري الربيعي، تاريخ أوروبا السياسي المعاصر، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2002.
4- أكرم عبد علي، تاريخ أوربا الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 2010.
5- ألكسي تولستوي، درب الآلام، ترجمة غائب طعمة فرحان، دار التقدم، موسكو، 1975.
6- الآن بالمر، موسوعة التاريخ الحديث (1789–1945)، ج1، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 1992.
7- بريوسوف وآخرون، موجز تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، ترجمة طه الصواف، دار الطبع والنشر باللغات الأجنبية، موسكو، (د.ت).
8- بوريس فوبتكيوف ، سقوط سباستبول ، ترجمة فؤاد عبد القادر حمزة . مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، 1956.
9- ج. م. روبرتس، موجز تاريخ العالم، ترجمة فارس قطان، وزارة الثقافة، دمشق، 2004.

10- جان بروها، تاريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة وليد خوري، مؤسسة النوري للنشر والتوزيع، دمشق، د.ت.
11- جان بول أوليفية، متى يطلع الفجر يا رفيقي، مقدمة الثورة الروسية، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت1970.
12- جورج لنشوفسكي، الشرق الوسط في الشؤون العالمية ، ط1، ترجمة جعفر الخياط ، دار الكشاف للطباعة والنشر ، العراق، 1959، ص35.
13- جون س. ريشيتارجوليور، تاريخ الحزب الشيوعي السوفيتي، ترجمة فوزي قيلاوي، نيويورك ، د. ت.
14- سيرريدر بولارد، بريطانيا والشرق الأوسط من أقدم العصور حتى 1952، ترجمة حسن احمد السلمان، مطبعة الرابطة، بغداد، 1956.
15- شميدت وآخرون ، موجز تاريخ الاتحاد السوفييتي ، دار التقدم ، موسكو ، 1986.
16- عبد العزيز سليمان نوار وعبدالمجيد نعنعي، التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973.
17- غستوت لرو، راسبوتين ونساء وقياصرة، ترجمة نخبة من الأدباء، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، د.ت.
18- الكسيف وكارتسوف، تاريخ الاتحاد السوفييتي، دار التقدم، موسكو، د.ت.
19- كولن ولسن، راسبوتين، ترجمة خليل حنا قادرس، مكتبة النافذة، الجيزة، 2005.
20- لينين ، التحالف بين العمال والفلاحين، دار التقدم ، موسكو، 1970.
21- لينين، المختارات في ثلاث مجلدات، المجلد 1، ج1، دار التقدم، موسكو، 1971.
22- لينين، بصدد الجملة الثورية ، ترجمة الياس شاهين، دار التقدم.
23- لينين، خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء ، دار التقدم ، موسكو ، 1970 .
24- ماريا بريليجايفا ، حياة لينين ، ترجمة خيري الضامن ، دار التقدم، موسكو، 1976.
25- محمد جواد علي، الصراع الأمريكي السوفيتي في المحيط الهندي مطبعة الأديب البغدادية، 1986.
26- محمد رمضان، راسبوتين الراهب الفاجر، كنوز للتوزيع والنشر، القاهرة، 2009.
27- محمد علي القوزي، العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 2002.
28- محمد محمد صالح وآخرون، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، مطبعة جامعة بغداد، 1985.
29- مصطفى كامل، في المسألة الشرقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008.

30- مكارم العمري ، الرواية الروسية في القرن التاسع عشر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت .
31- ميمونة حمزة المنصور، تاريخ الدولة العثمانية، دار الحامد، عمان، 2008.
32- ن. ل. تيليستين، غريغوري راسبوتين، ترجمة حسان ميخائيل إسحق، ط2، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، سورية، 2008.
33- هـ. أ. ل. فشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث (1789 – 1950) ،ط5، تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، دار المعارف، مصر، د.ت.
34- هاري وبوناروا وفرتريت، الثورة الدائمة، ترجمة دار النشر الجديد، نيويورك، د. ت.
35- هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية المرحلة الأولى 1774–1856، جامعة بغداد، 1990.
36- وليم ز. فوستر، موجز تاريخ الحركة النقابية العالمية(1876–1914)، ج2، ترجمة عبد الحميد الصافي، دار الثورة، بغداد، 0د.ت).
37- بيفانوف وفيدوسوف ، تاريخ الاتحاد السوفييتي، ترجمة خيري الضامن ونقولا طويل، دار التقدم– موسكو، (د.ت).

الصحف والمجلات

1- جورج كونيو، درس الثورة الروسية الأولى، الثقافة الجديدة، مجلة العراق، العدد 76، تشرين الأول، 1975.
2- صادق الفلاحي، دور الحركة النقابية السوفيتية، الثقافة الجديدة، مجلة العراق، العدد 36، 37، أيار، حزيران، 1972.

المصادر الاجنبية

1- Carr, The Polshevik Revolution 1917 – 1923.
2- Ponomarev, and others, A Short History of the Communist Party of the Soviet Union, translated, David by Shuirsky, Progress Publishers, Moscow, 1970.
3- V. L. Lenin, on Tradunions, A Collection of Articles and Speeches, Progress Publishers, Moscow, 1970, p. 453.
4-